المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي والتحديات التي تواجهها.

غزالي إسحاق.
باحث دكتوراه بجامعة الجزائر3

الملخص

هذه الدراسة تستهف تسليط الضوء على مختلف التهديدات الأمنية الجديدة التي باتت تعرفها منطقة الساحل الإفريقي، هذه الأخيرة، أضحت تشكل ملاذا آمنا لمختلف أشكال التنظيمات الإرهابية والجماعات المسلحة وشبكات الإجرام والمتاجرة بالمخدرات وتهريب السلاح...، في تنفيذ مخططاتها الإجرامية على المستوى المحلي والإقليمي. وأمام تزايد حدة التهديدات والمخاطر التي باتت تعصف بالمنطقة بإعتبارها أحد أهم بؤر اللاإستقرار واللاأمن في العالم، لاسيما بحكم شساعة حدودها وصعوبة التحكم في مراقبتها، كان لزاما على الدولة الجزائرية تبني مقاربة أمنية لإحتواء مصادر تلك التهديدات المؤثرة على الأمن الوطني الجزائري، ومواجهة التحديات الناجمة عنها،وهذا عن طريق تعبئة كافة مواردها الإستراتجية وتنسيق تعاونها الإقليمي مع دول الجوار في محاولة القضاء على النشاطات التخريبية المعادية المتخذة من تلك المنطقة قاعدة خلفية لتنفيذ أعمالها الإرهابية.

Abstract

This study focuses on presenting of the differents new security threats, they are known as the SAHEL African region,which have become a safe havenfor many forms of terrorist organizations,armed groups, networks of crime and drug trafficking and weapons trade,in the implementation of criminal plans at the local and reginal levels, inorder to face growing threats and risks that have been touched the region as one of the most important areas of instability and insecurity in the world ,especially , its long and vast borders and the difficulty of controlling,the Algerian state adopted a new security approach to contain the sources of those,threats affecting his national security, this is done by mobilizing all its strategic ressources and coordinating its regional cooperationwith neighboring countries in an attempt to elimenate the hostile subversive activities whichare taken as back bases of their terrorists attacks

مقدمة:

يتفق أغلب المفكرين على أنه لانتقال المجتمع إلى الأفضل لابد من توفر عنصر الأمن (Security)،حيث يكون ذلك عبر توفير التفاعل التعاضدي(Synergie)بين أشكال الأمن بمفهومه الصلب (Hard Security) واللين (SoftSecurity)وتماشياً مع دينامنكية ما هو موجود من مستجدات حديثة تمس الظاهرة الأمنية والدولية سعياً لتحقيق السعادة المادية والروحانية للشعوب والمجتمعات.

ومن هذا المنطلق فالأمن ببساطة هو قاطرة (Locomative) المجتمع لتحقيق التطورتسعى من خلاله الدولة كأولوية مجالتيةلتحقيق البعد الرابع (الاستمرارية) عبر الانتقال من القوة (Power)إلى القدرة والمقدرة، ومن هنا أدركت مختلف مراكز الفكر(Think Thanks)والأكاديميين أنه لا بد من إعطاء الأمن صفة الاستقلالية و توسيعه له تاريخ وأصول ونظريات لابد من تطويرها و تحديد مضامينه الفكرية بدقة سعياً للوصول إلى حقيقة فهم الظاهرة الأمنية، ومن هنا نطرح الإشكالية التالية:كيف تؤثر التهديدات الموجودة بمنطقة ساحل الصحراء الإفريقية على الأمن القومي الجزائري؟

لمعالجة هذا الموضوع إرتأينا إتباع الخطة التالية:

1- ضبط التعريفات المرتبطة بالدراسة
2- الفواعل المهددة للأمن في منطقة الساحل الإفريقي
3- العوامل المساعدة على إستفحال التهديدات في الساحل الإفريقي
4- سياسات دول الساحل الإفريقي في مواجهة التهديدات الأمنية
5- المقاربة الأمنية الجزائرية في الساحل الإفريقي
6- التحديات المختلفة في منطقة الساحل على الأمن الوطني الجزائري

الكلمات المفتاحية: التهديد،منطقة ساحل الصحراء الإفريقية،التحديات الأمنية الجزائرية .

1- ضبط التعريفات المرتبطة بالدراسة

مفهوم التهديد: (Threat)

التهديد هو حالة من القلق اتجاه مجموعة من المشاكل المباشرة،بحيث يتميز بمايلي:

* يرتبط بإدراك صانعي القرار والفاعلين السياسيين.

* يرتبط بمبدأ السببية، بمعنى أن لكل تهديد سبب يحدثه.

* متفاعل ومتداخل،وقد يساهم في ظهور تهديدات أخرى.

*التهديد يحل ولايدار على غرار النزاع الذي يدار.

*يمكن أن يتعقد التهديد لكن لا يتلاشى.

1- الفرق بين التهديد والتحدي الأمني (The difference between the threat and challenge): من حيث الدلالة اللغوية:أُشتق مصطلح التحدي من كلمة ''تحدى''،ويقال في اللغة العربية تحدى فلان حول شيء معين أي طلب مباراته في هذا الشيء،ويقابل التحدي في اللغة العربية ''رد فعل''[1].أما في اللغة الإنجليزية فيقابله كلمة.(Challenge)

وبالتالي فمصطلح التحدي يقصد به مجموعة من الصعوبات التي تواجهنا مستقبلاً وتقف عائقاً أمامنا[2].

اصطلاحاً: التحدي الأمني هو عبارة عن رؤية بسيطة اتجاه مجموعة من التهديدات التي يمكن أن تقع في المستقبل بحيث تمثل حاجزاً وعائقاً أمام إستقرار وأمن الشعوب والمجتمعات سواء تعلقت بالقوة الصلبة (Hard Power) أو بالقوة اللينة(Soft power) ،كما أنه لا توجد له ملامح في الوقت الحاضر مثل : قضية نقص المياه قد تكون تحدي حقيقي في الجزائر مستقبلاً،لكنها حالياً تمثل تهديد في منطقة دول ساحل الصحراء.

وبالتالي فالتحدي = تهديد في المستقبل + لا توجد له ملامح في الحاضر

أما عن الفرق بينه وبين التهديد فيكمن كما يلي:

المفهوم التحدي التهديدمن حيث طبيعة إدراك المفهوم رؤية بسيطة اتجاه التهديدات المستقبلية يرتبط بإدراك صانعي القرار والفاعلين السياسيين.من حيث البعد الزماني يكون مستقبلي+لاتوجد لهملامح في الحاضر يكون آني ومباشروكنتيجة نستنتج أن التحدي هو تهديد منظور له مستقبلاً[3]

2. الفرق بين التهديد والأمن (The differencebetweenthreat and secuirty)

الأمن : (Security)يعتبر مفهوم الأمن من المفاهيم المعقدة،لذلك فإن تعريفه يختلف من مفكر إلى آخر ويعود ذلك لما يلي:

* التراكم التاريخي
* التحول في مصادر التهديد من مصادر متعلقة بالقوة الصلبة إلى اللينة
* عدم وجود نظرية عامة
* ارتباطه بالظاهرة الدولية والإنسانية التي تتميز بالطابع الديناميكي والنسبي
* إزدياد عدد الفواعل الأمنية(الدول،الأحلاف،الأفراد،...)[4].

3. الفرق بين التهديد والمخاطر (The difference between threat and dangerous) :

المخطر: يرتبط المخطر بالإحساس وليس بالإدراك وهو عملية حسابية قائمة على فروض احتمالية لوقوع تهديد أم لا في المستقبل،وينطبق هذا التوصيف مثلاً حول إحساسنا بهطول المطر أو عدمه في المستقبل[5].

المفهوم التحدي المخطر من حيث طبيعة المفهوم رؤية بسيطة اتجاه التهديدات الآنية التي تمثل عائق وحاجز أمام استقرار وأمن الشعوب والمجتمعات وهو مرتبط بإدراك صناع القرار. مرتبط بالإحساس اتجاه وقوع تهديد مستقبلي أم لا.من حيث احتمالية وقوع الحدث في المستقبل هو تهيد آني هو تهديد احتمالي قد يقع أو لا

4. الفرق بين التهديد والخطر(The difference between threat and risk)

الخطر ببساطة هو خاصية أو صفة تطلق على شيء يلحق الضرر مثل: الكهرباء[6].

وكنتيجة نستنتج أن الفرق بين هذه المفاهيم هو كما يلي:

* التهديد = يكون مباشر وفي الوقت الآني.
* التحدي = هو تهديد منظور له مستقبلاً ولاتوجد له ملامح في الحاضر.*
*المخطر = هو تهديد محتمل مستقبلاً.
*الخطر = هو خاصية تطلق على شيء يحدث خطر.

التعريف منطقة الساحل الإفريقي

بعد التعرض لدراسة الأمن ومتعلقاته من ناحية مصطلحية نعرج في هذا المبحث للتعرف على منطقة الساحل عبر دراستها من خلالالأبعاد التالية:

1. البعد الجغرافي(الضبط الجغرافي) : هو تلك المنطقة التي تقع بين الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى وبين الحافة الشمالية للغابات الإفريقية ومن المحيط الاطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً بمساحة تناهز أكثر من 3 ملايين كلم2 وتضم الدول التالية: السنغال، مالي، تشاد، السودان، إثيوبيا، النيجر، نيجيريا، موريتانيا بوركينافسو، إرتيريا.
2. من حيث التسمية(الضبط المصطلحي): منطقة الساحل الصحراء هي تسمية أطلقها المسلمون الفاتحون لإفريقيا وبقيت هذه التسمية ممتدة لعدة قرون ويأخذ المصطلح بعد جغرافي وسياسي نظرً لأن هذه المنطقة جافة وصحراوية ومستوية(منكشفة)،وأخذت هذه المنطقة بعد جيوسياسي جديد يأخذ الإعتبار للدول التي تشكل الحزام الحدودي لمنطقة الصحراء إضافةً إلى دول المغرب العربي
3. من حيث الأهمية:تكتسي منطقة ساحل الصحراء أهمية كبيرة، حيث تتميز بموقعها الهام، فهو يربط شمال إفريقيا ووسطها ,ويمثل شريط واضح من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي ويسيطر علىالطرق التجارية في القارة، هذا بجانب ما تتمتع به من ثروات طبيعية و معدنية، وتوجد بالمنطقة ثروات طبيعية هائلة مثل الماس و النحاس و كذلك اليورانيوم والكوبالت التي تستخدم في الصناعات الثقيلة و الضخمة و هناك مخزون هائل من الذهب والحديد والزنك والرخام والتي لم تستفد منه بعض الدول حتى الآن مثل التشاد واحتياط خامات الحديد في موريتانيا يقدر ب: 100مليون طن إضافة إلى وجود النحاس ويقدر الاحتياطي ب 27.3 مليون طن من النحاس عالي الجودة و يقدر احتياطي اليورانيوم في النيجر ب 280 ألفطن، كما تتمتع ايضاً منطقة الساحل الإفريقي بثروة مائية كبيرة، فمثلا نهر النيجر هو ثالث أنهار إفريقيا طولا بعد النيل و الكونغو إذ يبلغ طوله نحو 4160 كلم وتزيد مساحته عن 2 مليون كلم مربع و هو صالح للملاحة في ما بين كوروسا وبماكو في فصل المطر, و كذا نهر السنغال السادس من حيث الطول و الخامس من حيث المساحة، ومن المنتظر أن تكون هذه المنطقة

محل صراع الدول الكبرى على اعتبار أن التوقعات تؤكد على أن الحروب القادمة سترتبط بأزمة المياه(7).

وتتوفر دول الساحل على موارد اقتصادية ذات صفة إستراتيجية مثل النفط والغاز الطبيعي، خصوصا في السودان والتشاد اللتُان تتمتعان باحتياطي نفطي هائل،كما أن هناك دراسات وتقارير معاصرة تثبت أن مستقبل العالم الطاقوي موجود بهذه المنطقة لا سيما بما يتعلق بالطاقة الشمسية كون هذ المنطقة صحراوية.

ومن خلال ماسبق يتضح أن لدول الساحل ميزات ذات أهمية غير خافية, مما جعلها في دائرة الأطماع العالمية خصوصا بين أمريكا التي تحاول السيطرة عسكرياً على المنطقة وفرنسا ثقافياً (الحزام الفرانكفوني) و الصين إقتصادياً.

III. الأمن القومي:

برز مفهوم الأمن القومي منذ معاهدة واستفاليا 1648م ورُبط بالفكر الدولاتي القومي ويقصد به ''قدرة الدولة على دحر أي هجوم عسكري خارجي''،أي أن الدولة تعمل على حماية مجالها البحري والبري والجوي من أي أخطار خارجية لاسيما منها الصلبة بحيث يتحقق بإمتلاك القوة الكفيلة لمواجهة التهديدات الخارجية،وهو ''أمن يصنع بالدبابة والبندقية قبل كل شيء.''ولقد شُبع هذا المفهوم بالأفكار الواقعية لاسيما في فترة الحرب الباردة (The Cold War)وقبل تخلص الإتحاد السوفياتي (USSR)من فقراءه فلقد اعُتبر الأمن حسب المنظور الواقعي السياسة العليا للدولة وخط أحمر لايجب تجاوزه، لكن في إطار محاولة توسيع نطاق الأمن ضمن النظام الشبكاتي المعولم ومع التغيرات الدولية المعاصرة (الجيلنة) فإن مفهوم أمن الدولة هو أمن الجار بإعتبار أن التهديدات أصبحت زاحفة، إضافةً إلى هذا فإن الأمن القومي الحالي لايقوم على القوة الصلبة فقط بل يقوم على كيفية معالجة التهديدات الأمنية اللينة والوصول إلى تحقيق أكبر قدر من الحاجات الإنسانية في أقل فترة زمنية وبأكثر وتيرة وأقل تكلفة بأسلوب دقيق وممنهج وعلمي نستطيع من خلاله إدراك الأخطاء وإعادة قراءة الظاهرة الأمني لضمان حاجة الإنسان والوصول إلى البعد الرابع (الإستمرارية) وهو مايعرف بهندسة الأمن(8)

1. الفواعل المهددة لأمن منطقة الساحل الإفريقيّ:

تعددت الفواعل المهددة للأمن في منطقة الساحل وأبرزها ما يلي:

الإرهاب والجماعات المسلحة:يعتبر التُعريف الجامع للإرهاب من الأمور الخلافية أكاديمياً وإيديولوجياً ودولياً،ورغم ذلك فلقد اتفق الجميع ان الإرهاب هو توجيه العنف ضد المدنيين واستخدام الوسائل و الأدوات غير المشروعة.

فالإرهاب مفهوم قيمي معياري(normative concept)، فما يعتبر إرهابا عند الغرب يعتبر عندنا مقاومة مثل حركة حماس الفلسطينية، أيضا ليس كل ما هو متطرف هو إرهابي و بالتالي اختلاف المعايير ساهم في عدم تبني تعريف واحد متفق عليه.

و بالتالي كتصوريمكن القول أن الإرهاب في علاقته بالأمن يمس بمنطق حقوق الإنسان (الحق في البقاء) وكذلك الأمن الإنساني بأبعاده المختلفة (السياسي، الاقتصادي، الصحي، البيئي، الغذائي، الثقافي، ...) و حق الإنسان في التحرر من الفقر و القهر و الخوف، تنتجه عدة عوامل داخلية وخارجية(9).

لكن السؤال المطروح هنا حتى نبقى في السياق البحثي:كيف أصبح الإرهاب يمثل تهديداً لمنطقالساحل؟يمكن القول أن ظاهرة الإرهاب هي محصلة لجملة العوامل و المتغيرات الداخلية والخارجية ساهمت في استفحالها في دول الساحل و على ضوء ذلك ف يمكن أن نرصد العناصر الرئيسية المسببة للإرهاب عبر الوطني في دول الساحل فيمايلي:

الجانب السياسي:

تعاني دول ساحل الصحراء من أزمة بناء الدولة والهشاشة فأغلب دولها هشة وفاشلة ينتشر فيها الفساد وإساءة استعمال السلطة وغياب مبادئ الحكم الرشيد واحترام حقوق الإنسان...، كل هذه المؤشرات جعلت بيئة دول ساحل الصحراء بيئة خصبة لتكوين الجماعات الأرهابية والمسلحة مثل: حركة أنصار الدين وتنظيم القاعدة في منطقة الساحل وجماعة بوكو حرام بنيجريا،ومن جانب آخرلا يمكننا نسيان إرهاب الدولة في بعض الأحيان التي تستخدمها الأنظمة الحكومية ضد مواطنيها.

الجانب العسكري:

يغلب على دول منطقة الساحل الطابع التسلحي العسكري حيث تشير التقديرات إلى انتشار أكثر من 50 مليون قطعة سلاح في المنطقة إضافةً إلى أسلحة أخرى ثقيلة نتجت عن أطلسة الثورة الليبية، الأمر الذي جعل الجماعات تخلق تفوق تكتيكي على جيوش المنطقة ويظهر ذلك في كل من شمال مالي والتشاد بقوة ويجعل هذه المنطقة بمثابة أفغانستان ثانية فلقد أصبحت ملجأ ومنتج ومصدر ومستورد للجماعات الإرهابية والمسلحة[10].

الجانب الإجتماعي والإقتصادي :

تعاني دول الساحلمن مشاكل متعددة مثل:التعدد و التنوع على أسس: أثنية، طائفية دينية، لغوية،قبلية الذي أورث نوعا من الجهوية والتشدد المجتمعي الضيق والذي قد يؤدي إلى تصاعد الطابع العنفواني لهذه الجماعات على حساب الحوار في ظل انتشار سياسات التهميش والفقر والأوبئة والمجاعات ونقص التغذية والتعليم وغياب التنمية التي تتماشى مع الزيادة الديمغرافية وضعف الدخل الفردي الذي لايتعدى 1 دولار في بعض الدول للأفراد وسيطرة الشركات المتعددة الجنسيات عليها(MNC)،مما ولد سخط لدى الأفراد وشجع على عنفونيتهم وانضمامهم في الجماعات المسلحة[11].

ملاحظة: يتم الحكم على الدولة على أنها غنية إذا كانت إيرادات السلع الأولية تشكل أكثر من10.%

التدخل الخارجي: عادةً ماتتدخل الدول الكبرى في منطقة الساحل لحماية مصالحها وأمن شركاتها ولتثبيت نفوذها وسيطرتها على المنطقة ولاسيما أنها منطقة غنية بالموارد وحديثة الإستغلال ممايجعل بمثابة كرة تتنافس عليها القوى الكبرى والصاعدة في ظل ضعف مقومات قوتها ومقدرتها ويمكن الاستشهاد بعدة امثلة مثل: التدخل الفرنسي وقوات الإيكواس (AFISMA)في شمال مالي.

وبالتالي كنتيجة نستنتج أن الفواعل المهددة للأمن في الساحل أهمها مايلي:

*الإرهاب والجماعات المسلحة.

*الدولة والأنظمة الحاكمة من خلال إرهاب الدولة.

*الدول الكبرى من خلال التدخل الخارجي

2. العوامل المساهمة في استفحال التهديدات في منطقة ساحل الصحراء الإفريقي:

ساهمت العديد من العوامل الداخلية والخارجية في استفحال التهديدات الامنية الصلبة واللينة أهمها ما يلي:

* شساعة مساحة دول ساحل الصحراء مما جعل أنظمة الأمن غير قادرة على ضبط ومراقبة الحدود، وبالتالي فهي مناطق سهلة الإختراق من قبل جماعات تهريب المخدرات و التجارة بالسلع و الأسلحة و كذلك توغل الجماعات الإرهابية في المنطقة (شمال مالي، أطراف عرق الشاش في موريتانيا الذي تحول إلى سوق سوداء للمتاجرة بالأسلحة المتبقية من المواجهات المتكررة...، كما أن هناك تقديرات تثبت على أن منطقة الساحل هي منطقة مرور لما يتجاوز 40 مليار دولار سنويا للأسلحة والمخذرات.

* الدعم الدولي الخليجي والغربي لهذه الجماعات لخدمة مصالح برغماتية معينة بالأسلحة والموارد المالية والمعلومات ولتثبيت مخططات التقسيم الغربية الشركاتية (تأسيس دول على نطاق الشركات فقط للتحكم في الموارد).

* ضعف الأنظمة الحاكمة وارتباطها بالمليشيات مما جعلها بين المد(الأنظمة الغربية والدول الكبرى) والجزر(الجماعات المسلحة التي تؤثر وتتحكم في صنع القرار).

* سوء الأوضاع الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والثقافية في منطقة الساحل مما جعلها ارضية لنشاط الجماعات المسلحة والإرهابية.

*عدم وجود تنسيق أمني مشترك بين دول تجمع ساحل الصحراء ونقص التمويل والموارد اللازمة.

*كثرة التدخلات الخارجية المصلحية التي زادت الأمور سوءًا[12]

3. سلوكيات دول الساحل اتجاه أشكال التهديدات في منطقة الساحل الإفريقي:

استقلت دول الساحل شكلياً فقط وهي مستعمرات فرنسية وبريطانية(السودان)،لكنها وجدت نفسها أمام مأزق بناء الدولة في ظل غياب الموارد والتمويل اللازم والإمكانات مما جعلها تعايش ظروف جدُّصعبة داخلياً في محاولة منها للإنتقال إلى الأفضل هذا الأمر جعلها تلجأ إلى الراعي الفرانكفوني بالدرجة الأولى ومن ثم الدول الكبرى في محاولة منها للتصدي للتهديدات والتعامل مع

التحديات ضمن الألفية الثالثة إضافة إلى عدة سلوكيات أخرى يمكن تلخيصها في عدة نقاط،وهي كما يلي:

* الإستدانة من الدول الكبرى لمحاولة معالجة المشاكل الإقتصادية والسياسية و الامنية والإجتماعية

*طلب الدعم الدولي لاسيما اللوجستي في سبيل مواجهة التهديدات الإرهابية والتخلص من أخطاره

* التنسيق ضمن الإطار الإقليمي والأممي لحفظ السلام وبناءه.

*العودة إلى الأب الفرانكفوني إن ألزم الأمر لمواجهة التهديدات إن رأت عدم إمكانيتها في التصديللتهديدات لاسيما منها الصلبة.

4. المقاربة الأمنية الجزائرية في منطقة الساحل الإفريقي:

بإعتبار أن الجزائر لديها تجربة أمنية عميقة ومشهود لها دولياً بعد خروجها من العشرية السوداء بأيادي جزائرية ودون تدخل أجنبي، فإنها بخبرتها وضعت نفسها في مكان يُحظى بالأولوية في مجال الإستشارة الأمنية إقليمياً قارياً ودولياً وهذا ماجعلها تحظى بدور الرئيس لمجلس السلم والأمن الإفريقي منذ نشأته سنة 2002م (رمطان لعمامرة لعهدتين، ثم سليمان شرقي حالياً) وتتبوء بإنشاء وقيادة اللواء الخامس للقارة''لواء شمال إفريقيا'' بمدينة جيجل،بل كانت لها المقاربة الأفضل من كل المقاربات لمعالجة التهديدات في منطقة ساحل الصحراء بتفضيلها لغة العقل والحوار على البندقية والدبابة والمقاربة الإقتصادية كبديل على القوة العسكرية لبناء السلام،وبإعتراف المجتمع الدولي من خلال عدة زيارات رسمية لعدة دول كبرى حثت الجزائر على لعب دور الدركي أو الشرطي) CupUSA or Policeman GB)في المنطقةالتي ترى في هذا الدور دور سيغرقها في أوحال(مشاكل نزاعات صعوبات...) لاخروج منها، كما أنه مبدأ لا يتماشى مع سياستها الخارجية،ومن هنا يمكن القول أن المقاربة الجزائرية الامنية في منطقة الساحل تقوم على مايلي:

* الإعتماد على الدبلوماسية كنهج في فضائها الجيوسياسي الإقليمي والإفريقي ولاسيما أنها تدرك أن جوارها يمثل حزام ناري يهددها في حدود يتجاوز طولها 6343كلم2،وبالتالي فإن الأمن الجواري الجزائريرتبط بخمسة معضلات أساسية وهي كما يلي:

*صعوبة بناء الدولة ضمن الواقع الجواري.

* تعدد الصراعات لاسيما منها الهوياتية والقبلية، وهي صراعات تتميز بالطابع الإستعصالي.

* انتشار لجميع أشكال الجريمة خاصة منها الخطيرة كتجارة الأسلحة والمخذرات

* ضعف الأداء السياسي الوظيفي للدول المجاورة خاصة وأنها شهدة ستة إنقلابات منذ بداية الالفية الثالثة(تشاد،موريتانيا،مالي...)،

* الخريف العربي الذي جعل الدول تنطلق من الصفر بل تحت الصفر في ليبيا والتخوف من سناريو جزائري تثيره أيادي مصلحية.لذلك فإن الجزائر تدرس الأوضاع الأمنية جيداً في منطقة الساحل،وتتمسك بالمبادئ التالية:

* عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول

* تغليب لغة الحوار والعقل على لغة السلاح

* انتهاج المقاربة الإقتصادية لبناء السلام في المنطقة

* حل النزاعات بالطرق السلمية

* التنسيق والتعاون المشترك بين الدول لمواجهة التهديدات الأمنية في منطقة الساحل بإعتبار أن أمن الجزائر هو أمن الجار وأن التهديدات أصبحت زاحفة (Greeping)لاسيما اللينة منها في نظام متشابطمعولم.

* التعامل مع المجتمع الدولي بتوجه يرفض دفع الفدية للإرهابيين ومكافحة الإرهاب ومنع انتشاره.

* رفض التدخل الأجنبي ومحاولة حل المشاكل الإفريقية بأيادي إفريقية كما يقول المثل''أهل مكة أدرى بشعابها'' لأنها إفريقيا تدرك وتفهم عناصر مسببات مشاكلها أفضل من الغرب وهذا لايعني العزلة بل تقديم الدعم الغربي لاسيما المادي للإفريقيين لمواجهة التهديدات.

* تأمين الحدود الجزائرية بأزيد من 147 ألف جندي،والتركيز على الجنوب الجزائري لاسيما وأنه يمثل ''البطن الرخو'' للأمن القومي الجزائري لاتساع المساحة،ومن جانب آخر فإن الجزائر بهذا لاتؤمن حدودها فقط بل حدود الدول المجاورة لهاومن هنا ندرك كنتيجة أن الجزائر تريد الحفاظ على أمنها واستقرارها ووحدتها وتدرك ضرورة تحقيق أمن الجار تعمل على ذلك جاهدة بالرغم انه تتكبد خسائر كبيرة مادية.

5. الجزائر أمام أزمة تيقنتورين وتحدي التدخل الخارجي:

حدثت أزمة تيقنتورين قبل أكثر من عام وبالضبط في 16 جانفي 2013م بعد يومين من التدخل الفرنسي في مالي وسماح الجزائر لفرنسا بمرور طائراتها الجوية عبر الصحراء نحو مالي إلتزاماً بالموافيق الدولية ومكافحة الإرهاب، بحيث حاولت جماعة متكونة من ثمانية جنسيات (كندا، مصر، النيجر، فرنسا، موريتانيا، الجزائر، ليبيا، مالي) ضرب الأمن الجزائري باستهداف معمل تيقنتورين الذي يمثل حوالي 12% من صادرات الجزائر وحصر130 أجنبي،وفي الوقت الذي تحركت فيه الحكومات الغربية ووسائل الإعلام نحو سناريو التدخل الخارجي لحل الأزمة تمكن الجيش بإحتراف وإمتياز بقلب الموازين بالقضاء على 32 إرهابي مقابل وفاة 12 رهينة لقت من خلاله الجزائر اعتراف دولي آخر بحرفيتها في مكافحة الإرهاب ومنع دفع الفدية لهم،بالرغم أن العملية كان مدبر لها لضرب الأمن الجزائري نتيجة موقف الجزائر من القضية المالية والحرب فيها،لكن يمكن القول أن هذه الأزمة أعطت مكاسب للجزائر وأهمها مايلي:

* زيادة الإلتفاف حول الجيش
* التأكيد على موقف الجزائر في محاربة الإرهاب ''لاتفاوض مع الإرهاب''
* المؤازرة الدولية والتأكيد على خبرة الجزائر في مكافحة الإرهاب،فهيلاري كلينتون وزيرة الشؤون الخارجية الأمريكية قالت'' لا يعرف أحد في المجتمع الدولي مدى نجاعة الجزائر في مواجهة الجماعات الإرهابية''

*التأكيد على الدور الجزائري الكبير في بعث الأمن في منطقة ساحل الصحراء من الرغم من تبعات الحرب في مالي على الأمن الجزائري (أزمة تيقنتورين، تهريب الأسلحة، اللاجئين في مدينت تمنراست، الملاريا...).

6. الجزائر ومشكلة الطوارق كتحدي إقليمي:

تعتبر أزمة الطوارق أزمة فوق دولتية تضم كل من ليبيا والجزائر والنيجر ومالي وشمال بوركينافسو،وهي من أعقد التحديات الأمنية التي يواجهها الأمن القومي الجزائري منذ زمن قديم ويرجع أصل مشكل الطوارق إلى سياسات الإستعمار ''فرق تسد'' الذي لم يراع الحدود الأنثربولوجية للمجتمعات ووزعها على الحدود،و لقد اشتدت هذه الأزمة مع زيادة تهميشهم من

طرف الدول التي تضم الطوارق خاصة في مالي(الشمال) والنيجر مما جعلهم يهاجرون نحوالجزائر وليبيا ويحملون السلاح ضد حكومات بلادهم ولقد أخذ الوضع منحنى خطير عندما دعم القائد الراحل معمر القذافي الطوارق وحاول تشكيل إمبراطورية الطوارق إنطلاقاً من ليبيا و ازدادت الأزمة صعوبة مع محاولات الأزواد بشمال مالي الإنفصال الأمر يشجع أيضاً طوارق الجزائر بالإنفصال،لكن الجزائر تعاملت معهم وفق مقاربة الحوار وتوسطت بينهم وبين بماكو لحل المسائل الخلافية وتقريب وجهات النظر،وتعاملت مع طوارق الجزائر بنظام الأعيان(شيوخ القبائل) والمقاربة الإقتصادية من أجل تحقيق حاجاتهم(13).

7. مستقبل منطقة ساحل الصحراء الإفريقي أمام تعقد البيئة فيها:

إن الدراسات المستقبلية تسعى لاستشراف آفاق ودروب المستقبل الممكنة،ولذلك فإن مختلف صور المستقبل تتوقف إلى حد بعيد على القرارات التي تتخذ في الحاضر إنطلاقاً من عدة احتمالات متعددة يتعين علينا إدراكها.

وعليه فإننا نحن في دراستنا لمستقبل منطقة ساحل الصحراء الأمنية،سنلجأ إلى تقنية السناريوهات لفهم مستقبل البيئة الأمنية في منطقة ساحل الصحراء مرتكزين على ثلاث سناريوهات وهي:

- **السناريو الأول**: وهو المسار الخطي الذي يفترض الحفاظ على الوضع القائم، ومايعزز هذا الطرح هو استعصاء حل المشاكل والتهديدات الامنية في منطقة الساحل وطفوها إلى السطح بقوة إضافة إلى صعوبة التغيير في ظل وجود جبال من التحديات الإقتصادية والثقافية والسياسيةوالأمنية والإجتماعية،وهذا السناريو مطروح مستقبلاً بقوة.
- **السناريو الثاني**: وهو المسار التفاؤلي للإنتقال إلى الأفضل في منطقة ساحل الصحراء،وهو سناريو مبني على فرضية حدوث تغيرات طفيفة على الوضع الحالي،بمعنى حدوث إصلاحات تحدث ترتيباً جديداً في أهمية ونوعية المتغيرات المتحكمة في الوضع الأمني وتحقيق تحسن يمس الأمن الصلب واللين.
- **السناريو الثالث**:وهو المسار التشاؤمي ويفترض إنتقال المنطقة إلى الأسوأ لتعقد البيئة الأمنية وزيادة التحديات الأمنية داخليا وخارجياً أمام قلة حركية النشاط التنموي والتواطؤ الدولي اتجاهها.

الخاتمة:

نخلص في الأخير أنه باختبار الفرضيات المختلفة أن الوضع الأمني في منطقة ساحل الصحراء خطير جداً وله تأثيرات سلبية على الأمن القومي الجزائري ولاسيما أن الجزائر دولة شبه قارة، وبالتالي، لابُد من زيادة المجهودات الوطنية المثلى للحفاظ على الأمن القومي الجزائري والبحث عن مقاربة ناجعة تعتمد على الحوار والتنمية تضمن الإنتقال للأفضل لدول منطقة الساحل عبر التعاون الإقليمي والقاري بعيداًعن التدخلات المصلحية للدول الكبرى،فتحقيق أمن منطقة الساحل يعني تحقيق أمن الجزائر.

الهوامش والمصادر:

1. نورالدين مختار الخادمي، ''القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل''،**المجلة العربية للدراسات الأمنية**،العدد (42)،خريف2009،ص19.
2. إدريس عطية''**محاضرات في مقياس الدراسات الأمنية"محاضرات ألقيت على سنة أولى ماستر**،تبسة(الجزائر):جامعة تبسة،كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية،فيفري،2014م.
3. **المرجع نفسه**.
4. صالح زياني،''تحولات العقيدة الأمنية الجزائرية في ظل تنامي تهديدات العولمة''،**مجلة الفكر**،العدد5،دس ن،ص288
5. إدريس عطية،**المرجع السابق**،ص4.
6. **المرجع نفسه**،ص4.
7. مجدي الداغر،**أوضاع الأقليات و الجاليات الإسلامية في العالم**،القاهرة: دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع،2006،ص114.
8. قسوم سليم،''دراسة في تطور مفهوم الأمن عبر منظارات العلاقات الدولية''،**رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير**، جامعة الجزائر:كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص الإستراتيجية والمستقبليات،،2010،ص17.
9. عبد الله عبد العزيز اليوسف, **الأنساق الإجتماعية ودورها في مكافحة الإرهاب والتطرف**،الرياض:جامعة نايف للعلوم الأمنية,2006.
10. جان بيان فيليو،**هل تصيح القاعدة إفريقية في منطقة الساحل**،واشنطن:مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي،2010،ص ص 2-12.
11. التقرير الأوروبي، **التغلب على الهشاشة في إفريقيا–صياغة نهج أوروبي جديد–**،فلورنسيا(إيطاليا) : المعهد الأوروبي مركز روبرت شومان للدراسات المتقدمة،2009،ص ص10-24.

12. بوحنية قوي،**الجزائر والإنتقال إلى دور اللاعب الفاعل في إفريقيا :بين الدبلوماسية والإنكفاء الأمني الداخلي**:قطر:مركز الجزيرة للدراسات،2014،ص ص 4،5.

13. بوحنية قوي،**الإستراتيجية الجزائرية اتجاه التطورات الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي**،قطر:مركز الجزيرة للدراسات،2012،ص ص1-11.